

يزيد بن المهلب

للاستاذ حمدي الحسيني

هم على زيد . فلا تخافوا زيد . فيجيبه الفضل لو لم تقدمه
أقدمناه

فمن زيد بن المهلب أحدكم هذه المرة وأجلو أناسكم شخصيته
القوية جلاء، ترون فيه ألواناً زاهية ساحرة من العظمة، وأشكلاً جميلة
فائقة من العبقرية، وضروباً نادرة المثال في البطولة والشجاعة

ولد يزيد بن المهلب في ساحات الحروب فاكتملت عيانه
بضار المارك، وتعضج جسمه بعصير الكرو والإقدام، وملأت سمعه
قمقمة السلاح والركاب، وصدت في نفسه أخبار الحروب والقتال،
وهزت روحه نفحات النصر وأباشيد الظفر فتشأ على ظهور الخيل
في ساحات الفر . وبين صفوف الأبطال في ميادين النضال .

قاتل يزيد بن المهلب الطوارج مع أبيه فكان له في قتالهم
مواقف بطولية أكسبته الثقة وخلعت عليه المهابة وجلال القدر
مما جعل أباه المهلب يعتمد عليه فيوليه القيادة في أدق المواقف
وأخطر الساعات، ويوليه الإدارة في أوسع الأقطار وأغنى الأمصار .
وما إن تولى يزيد بن المهلب على خراسان بعد أبيه حتى كتب
للحجاج بتوليته عليها حسب وصية المهلب فأوسع الحجاج ولا
وسع عبد الملك إلا أن يحترم وصية المهلب في استخلاف يزيد على
خراسان ، وإلا أن يحترما إرادة يزيد نفسه في الولاية عليها فأقرا
يزيد بن المهلب على خراسان فأصبح والياً على هذا القطر الإسلامي
العظيم بموقفه العسكري بالنسبة لحركة الفتح الإسلامي، وبخبرائه
الضخم بالنسبة لميزانية الدولة الأموية

أقام يزيد على ولاية خراسان ثلاث سنين كان خلالها السيد
المطابق والحاكم الذي لا ترد له إرادة ، ولسكنه لم يستسلم للراحة
ولم ينغمس في النعم، بل ظل كراش الحية النضناض لا يرى بحالا
تظهر فيه البطولة إلا يرى بنفسه فيه فكان البطل الذي لا يقبل ؛
ولا يحس بطرف تبرز فيه السكارم إلا يبرز فيه فكان الكريم
الذي لا يجارى والمطعم الذي لا يشق له غبار

أراد رجال عبد الرحمن بن الأشعث التآمر على الحجاج والدولة
الأموية أن يحملوا خراسان ملجأ لهم وموطئاً لحركاتهم الثورية ،
فقال لهم عبد الرحمن : على خراسان يزيد بن المهلب وهو شاب
شجاع سارم وليس بتارككم - لمطاعه، ولو دخلتموها وجدتموه

المهلب بن أبي سبرة أبناء نجباء كرماء شجعان عزة فأنجمون
قد أجمع المؤرخون على أنه لم يكن في دولة بني أمية أكرم منهم .
وكان لهم في الشجاعة مواقف مشهورة مشكورة . ذكر آل
المهلب في مجلس عبد الرحمن بن الأشعث بسوء فقال حريس بن
هلال القريبي : والله ما أعلم أحداً أصون لنفسه عند الرخاء ولا
أبذل لها في الشدة منهم

وقدم عبد الرحمن بن سليم السكبي على المهلب فرآى بنيه
قد ركبوا عن آخرهم فقال :

يأتس الله الإسلام بتلاحقكم . أما والله لئن لم تكونوا أسباط
بنوة فأنكم لأسباط ملحمة . وكان عمر بن عبد العزيز يقول :
آل المهلب جبايرة لا أحب مثلهم . ووفد مالك بن بشير على الحجاج
فسأله عن ولد المهلب فقال همرة الباب حتى يأمنوا، وحماة السرح
حتى يردوه، قال أبهم أفضل قال ذاك إلى أبيهم . هم كالحلقة المفرغة
لا يعلم طرفاها

أجل لقد أصاب مالك بن بشير في أن أبناء المهلب كالحلقة
المفرغة . وفي أن أباهم هو الذي يمرق طرفي الحلقة . ويميز بين
أقدارهم ويفضل بعضهم على بعض . وهذا نحن نراه بمان هذه المعرفة
وهذا التفصيل في وصيته لأبنائه يقول لهم والسورور بعلأ نفسه :
قد استخلفت عليكم يزيد ، وجملت حبيباً على الجند حتى يقدم

يا عجباً لقد انفتحت أبواب السماء لدعاء الأب المسكين فجاء
الشرط الإلهي يرى سقم الفتاة التي ضن عليها الطبيب الأرضي
بمشرطه إلا أن رهن الأب بالمال الذي لا يجد إليه سبيلاً . وسمت
سماوية الرجل الصالح على أرضية الطبيب الشرع معهما ، فارتدت
الفتاة - في لحظة واحدة - نحس الراحة والهدوء والصحة

فيا الساهوية الساه ... يا الساهوية الساه !

لأمير محمود هيب

جاءه أحد أصحابه وهو في تلك الساعة الرهيبية والسيوف في يده
يقطر دما وقال له : قد ذهب الناس فهل لك أن تنصرف . فقال له
يزيد قبح الله رأيك ، إلى تقول ؟ إذا الموت أبسر على من ذلك .
فقال له إلى أخاف عليك . أما ترى حولك من جبال الحديد .
مشيراً إلى جيش مسلمة فقال . أأنا أباها جبال حديد كانت أم
جبال نار ؟ اذهب عنا إن كنت لا تريد قتالا معنا . وأقبل يزيد
على مسلمة لا يريد غيره حتى إذا دنا منه عصفت عليه خيول أهل
الشام فخر صريماً

وقد كان قوت الموت سهلاً فردده إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تضاف المار حتى كأنه هو الكفر يوم الروح أودونه الكفر
فأنبت في مستنقع الموت رجلاً وقال لها من تحت أتمحك الحشر
حمل رأس البطل القليل إلى عدوه ووضع بين يديه ؟ فأراد
أحدهم أن ينتقص البطل حينذاك ، فقال له يزيد بن عبد الملك : مه ،
إن يزيد بن المهلب طلب جسيماً وركب عظيماً ومات كريماً

محمد بن الحسين



ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى

لصاحب العزة الركنور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر في باكستان

تمن هذا المجلد ثلاثون قرشاً عدا أجرة البريد

وهو يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

ليكم صريماً . ولكنهم دخلوا خراسان فوجدوا يزيد إليهم صريماً
ضربهم في وجوههم ففروا أسامه مهورين ورجع غانماً ظافراً

وما كاد يفرغ من الضربات الباطشة التي أوقعتها على رؤوس
الثوار حتى انغمس على قلعة عظيمة من قلاع ملوك الترك تسمى
قلعة برك ففتحها فكان في فتحها امرأة المسلمين خير كثير . ولكن
هيئات أن يتسمع صدر الحجاج لثل يزيد بن المهلب في عقله وقديره
وهمنه وبطوانته وعزته ومنعته وفوته وسلطانته . فقد تشكر له
الحجاج فاستدعاه للمراق فأشار عليه بعض خاصته بعدم الذهاب
إليه فقال له : نحن آل بيت يورك لنا في الطاعة وأنا أكره المصيبة
والخلاف . وذهب إلى الحجاج فقبض عليه وأودعه السجن وأسرف
في تعذيبه حتى هيا الله أن يخرج من السجن بأعجوبة فذهب
إلى سليمان بن عبد الملك وهو في الرملة البيضاء وطلب منه التوسط
له عند أخيه الوليد فعمل وظل يزيد عند سليمان بن عبد الملك في
الرملة حتى آتت الخلافة إليه فولاه على العراق بعد وفاة الحجاج ،
فكره يزيد أن يظل على هذا القطر المتعب المهووك فنقله سليمان
إلى خراسان ذلك القطر الحبيب إلى نفسه العزيز عليه وعلى آل
المهلب جميعاً . فماد يزيد إلى خراسان وقضى فيها ثلاث سنوات
فتح خلالها جرجان وطبرستان . ولكن موت سليمان قطع على
يزيد طريق الفتح والتقدم فقبض عليه عمر بن عبد العزيز لأنه
كان يكره آل المهلب لأنهم جبابرة . وأودعه السجن ، فظل يزيد بن
المهلب في السجن حتى توفي عمر ، ففر يزيد خوفاً على حياته من
يزيد بن عبد الملك وتوجه إلى البصرة وهناك كشر ليزيد بن عبد
الملك عن نابه وخله ورام الخلافة لنفسه فبايحه الناس على كتاب
الله وسنة رسوله ، ولكن يزيد بن عبد الملك أرسل إليه أخاه مسلمة
في جيش عظيم فاستقبله يزيد بن المهلب وقاتله قتالاً شديداً ، فلما
استمر القتل بين الفريقين تفرق أصحاب يزيد فقتل له قد انهزم
الناس ، فقال لهم انهزموا ؟ فقتل له أحرق الجسر فلم يلبث أحد ، فقال
قبحهم الله . بن دخن عليه قطار . وكان يزيد لا يتحدث نفسه بالفرار
وجاء من أخبره أيضاً أن أخاه حبيباً قد قتل ، فقال لا خير في
المعيش بعد حبيب قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة فوالله
ما ازددت لها إلا بغضاً . أمموا قدما . قال أصحابه إن الرجل قد
استقتل . مضى يزيد في قتال أعدائه وصار كلما سر بخيل كشفها .